

أنواع الخطوط المستعملة في الكتابات التأسيسية بمساجد الجزائر خلال العهد العثماني

الدكتورة/ بن بلّة خيرة
معهد الآثار- جامعة الجزائر

- مقدمة.

أولا : استخدام الخط المغربي في الكتابات التأسيسية.

1. تعريف الخط المغربي.
2. نماذج من استخدامات الخط المغربي في الكتابات التأسيسية.

ثانيا : استخدام خط النسخ في الكتابات التأسيسية.

1. تعريف خط النسخ.
2. نماذج من استخدامات خط النسخ في الكتابات التأسيسية.

ثالثا : استخدام خط الثلث في الكتابات التأسيسية.

1. تعريف خط الثلث.
2. نماذج من استخدامات خط الثلث في الكتابات التأسيسية.

- خاتمة

مقدمة

تعتبر الكتابات الأثرية من أهم مصادر التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية باعتبارها وثائق أصيلة ومحيدة ومعاصرة للأحداث وغير قابلة للتزييف، وخاصة تلك الكتابات المعروفة بالكتابات التأسيسية والتي تخلد ذكرى بناء أو تجديد للعمائر، لما تحمله من مضامين تتعلق بالمبنى وصاحب العمل وألقابه وتاريخ البناء أو التجديد إضافة إلى الصيغ الدينية التي كانت تصحب هذه النصوص مثل البسملة والآيات القرآنية والأدعية.

ومن المعروف أنه مع بداية العهد العثماني شهدت الجزائر حركة عمرانية واسعة النطاق وخاصة في عصر الدايات الذي عرف العديد من الإنشاءات المعمارية وعلى رأسها المساجد التي كانت تتميز كتاباتها عن باقي كتابات المباني المدنية والعسكرية التي كانت أحيانا تسجل باللغة التركية العثمانية، بينما التي تتعلق بالمباني الدينية فقد كانت تسجل نصوصها باللغة العربية فقط، ضف إلى ذلك تلك الصيغ الدينية المتنوعة التي تشتمل عليها نصوصها والتي استعمل في تسجيلها ثلاثة خطوط هامة تتمثل في الخط المغربي وخط النسخ وخط الثلث.

أولا : استخدام الخط المغربي في الكتابات التأسيسية.

1. تعريف الخط المغربي.

دخلت الكتابة العربية إلى بلاد المغرب على أيدي الفاتحين العرب، حيث وجه معاوية بن أبي سفيان عقبة بن نافع بن عبد قيس

الفهري إلى أفريقية عام 50هـ- 670م، وإليه يرجع الفضل في إنشاء القيروان التي أصبحت تمثل منذ تأسيسها مركز الإشعاع للحضارة العربية الإسلامية في التراب المغربي فانتجعتها منذ بدايات القرن الثاني للهجرة طلاب العلم، وأصبحت تشكل أول مدرسة للفقهاء المالكي في أرض المغرب وقصدها كبار العلماء من مدرستي الكوفة والبصرة⁽¹⁾.

وظلت مدينة القيروان أهم مراكز المغرب للفقهاء المالكي لفترة طويلة، فتكون بها كبار فقهاء المالكية أمثال سحنون وبهلول وأسد بن الفرات، الذين تتلمذ على أيديهم علماء أجلاء لعبوا دورا هاما في المجتمع المغربي وكان لهم الفضل الأعظم في نشر الفكر المالكي بين سكان المغرب، ومن المعتقد أن هؤلاء الفقهاء نشروا الخط الذي سجلوا به مدوناتهم خارج نطاق مدينة القيروان⁽²⁾.

وفي مطلع القرن الرابع الهجري، كان طلاب الفقه في مدينة القيروان لا يزالون يدرسون نصوصا كتبت بالخط الكوفي⁽³⁾ ورغم استعمالهم للخط الكوفي إلا أنهم بدءوا منذ ذلك الوقت يلفظون من حدة هذا الخط الذي يقوم على زوايا دون تسطيرها بسهولة وسرعة كافية، ويتمثل هذا التحول الذي ظهر على استحياء في قطعة من مدونة سحنون المكتوبة عام 334هـ- 946م، ليظهر بوضوح في قطعة اكتشفت مع القطعة السابقة في جامع القيروان، وتعتبر حروف الكتابة في هذه القطعة تعبيرا صادقا عن التحول المباشر من الخط الكوفي إلى الخط المغربي⁽⁴⁾.

وعلى الرغم من أن المشاركة أخذوا بالإصلاح الذي قام به ابن مقلة في الخط وقللوا من استخدام الخط الكوفي، فإن المغاربة ظلوا يستخدمون الخط الكوفي⁽⁵⁾ ثم ليئوه وخففوا من حدة زواياه، ومنذ ذلك الحين تمسك المغاربة بهذا النوع من الخط الذي يتيح الكتابة السريعة العادية ذات الاستعمال العام ولذلك لم يروا ضرورة لتبني الكتابة الجديدة⁽⁶⁾.

كما استعمل المغاربة نقطة الإعجام، مع تنقيط حرف القاف بنقطة واحدة من أعلى وحرف الفاء بنقطة واحدة من أسفل، واستخدموا كذلك الشكل لتوضيح حركات الإعراب تبعا لطريقة خليل بن أحمد⁽⁷⁾ ثم زادوا في التأنق إذ سطوروا بعض الحروف، وخففوا أشكال البعض الآخر المثقلة⁽⁸⁾.

وكان انتشار الحرف المغربي في العالم الإسلامي موافقا للغاية لانتشار مذهب مالك ففي المناطق التي انتشر فيها المذهب مثل الأندلس والمغرب والسودان الغربي، كان الخط المغربي هو المستخدم فيها.

ولا يزال تحقيق الاختلافات الموجودة في الكتابة المغربية من الصعوبات التي يواجهها الباحث، إذ لم يقدم أحد من الباحثين المتخصصين في ذلك المجال من الدراسات معلومات دقيقة حول مظاهر الاختلاف في الكتابات المغربية أو الصفات التي تميز كلاً

منها⁽⁹⁾، ويمكن حصر هذه الكتابات في أربعة خطوط معروفة هي :
الخط القيرواني والخط الأندلسي والخط الفاسي والخط السوداني.

ومن المميزات العامة للخط المغربي، أنه يتميز بحواشي
السطر المدعومة عوضا عن الجوانب الحادة والجلية كجوانب
النسخي، فلم تكن تظهر السطور العمودية من حروف الألف واللام
والطاء والظاء مستقيمة، إلا في حالات قليلة للغاية، فكانت تتخذ في
أغلب الأحيان شكلا منحنيا، وتعلوها نقطة غليظة كما أن عملية
الربط بين الحروف المكونة للمجموع سيئة نوعا ما، إذ تفصل
الحروف أحيانا بياضات وتارة يعلو سطر الربط الحرف الذي يجب أن
يتصل به وتتخذ قفلات ص- ض- ط- ظ شكلا إهليجيا يميزها عن
قفلات النسخي⁽¹⁰⁾ كما لا يخط أبدا السنية العمودية التي تنهي ص
وض في وسط الكلمة أو في أولها، وتتخذ أواخر الحروف بصفة
عامة امتدادا مبالغا فيه خاصة حروف : س- ش- ظ- ل- م- ن وقلما
توضع النقط على الحروف النهائية ف- ق- ي، كما تزال في معظم
الأحيان نقط التاء المربوطة المفردة، كما أن بعض الحروف تحتفظ
بالشكل الكوفي بحيث يظهر الفرق بين معظم الحروف الأخرى
وبين الكوفي ضعيفا⁽¹¹⁾.

ويتميز الخط القيرواني بغلظ السطر وتظهر فيه الحروف
قصيرة قريبة بعضها من بعض على قدر كبير من التناسق، أما
الأندلسي فيعتبر أسهل الأنواع للتعرف عليه فالحروف القصيرة

والمستديرة تتجمع على شكل مكثف وتحفظ بكل النقاط، كما لا يوجد تداخل بين الحروف نظرا لتسطير كل حرف على حدة كما كان للأندلسيين أدوات أكثر إتقاناً مكنتهم من تسطير الحروف، أما الفاسي، فيتميز بالأناقة وطول الأسطر العمودية والتباعد بين الحروف ذات الامتداد، واتحاد حجم الأسطر، وتبدو متناسقة وكل ملاحظ لهذه السطور يكتشف كأنها خطت مقطعة، وإذا فصلت الكلمات لوحظ التشويه، ومع ذلك فجميع الحروف تحتفظ بتناسقها التام، ومن الملاحظ أيضا أن الأشكال العامة لحروف الكلمات متداخلة وكثيرا ما كانت تمتد امتدادا تظهر معه كأنها النقط تحذف في الحروف النهائية، ويعرف الخط السوداني بشكله الجاف وحروفه الثقيلة غير المتناسقة وسطوره التي تبدو كثيفة أحيانا ودقيقة أحيانا أخرى وقوائمه العمودية المرتفعة إلى حد لا يناسب غلظ الكتابة وشكل القفلات، كذلك يلاحظ في هذا الخط زيادة ميل الحروف وانحدارها نحو الشمال ولولا هذا الانحدار لكاد يشبه الكوفي الجاف⁽¹²⁾ ولقد سبق الأندلسيون أهل المغرب في تبني الخط اللين في التدوين ثم في المصاحف، وم كثر وفودهم إلى المغرب انتشر معهم خطهم الأندلسي⁽¹³⁾ واستخدم الخط الأندلسي أحيانا في الجزائر العاصمة لأن الكثير من أهلها ينحدرون من صل أندلسي ولكنهم لم يقلدوا الخط الأندلسي تقليدا كاملا فخط الجزائر استقى الكثير من مقوماته من حدة الفاسي⁽¹⁴⁾.

2. نماذج من استعمالات الخط المغربي في الكتابات التأسيسية :
ومن النماذج التي استخدم فيها الخط المغربي بمساجد الجزائر خلال
العهد العثماني نذكر ما يلي :

▪ الكتابة التأسيسية الأولى لجامع صفر بمدينة الجزائر : (الصورة 1)
يقع جامع صفر بن عبد الله عند التقاء شارعي الإخوة بإشارة
وروان عبد الحميد ، وبذلك فواجهته الرئيسية تطل على الشارع الأول
والواجهة الشمالية تطل على الشارع الثاني ، واحتفظ المسجد باسم
"سافير" الذي هو تحريف لاسم "صفر" كما جاء في كتاب غزوات
عروج وخير الدين الذي يرجع تأليفه إلى النصف الثاني من القرن
العاشر الهجري ، ولا نعرف عن هذه الشخصية إلا القليل ، مع أنه ورد
اسمه في قصة حصار شارلكان للجزائر في 1541م ومن المحتمل أن
التسمية بصفر فيها إشارة إلى دخول هذه الشخصية في الإسلام في
هذا الشهر⁽¹⁵⁾ وأصبح يسمى بالقائد صفر بن عبد الله بعد دخوله
الإسلام وتمكن من اللغة العربية إلى أن أصبح من قراء القرآن
الكريم ، أما عن بناء هذا الجامع ففي شهر رجب عام 940هـ يناير
1534 شرع في تشييد الجامع من الأموال التي تطوع بها صفر بن عبد
الله واستغرقت أشغاله مدة تسعة أشهر ، وهذا حسب الكتابة الأثرية
المثبتة أعلى المدخل الرئيسي للجامع⁽¹⁶⁾ وتم الانتهاء من بنائه في 2 ربيع
الأول من عام 941هـ / 15 سبتمبر 1534م⁽¹⁷⁾.

ونقشت الكتابة التأسيسية على لوحة من الرخام يبلغ ارتفاعها 60سم وعرضها 1.10 م، وهي منفذة بخط مغربي ونقشت بأسلوب الحفر البارز، والنص مقسم على ثمانية سطور داخل إطار مستطيل⁽¹⁸⁾.

النص :

سطر1- بسم الله الرحمن الرحيم.

سطر2 - الحمد لله الذي رفع السماء وبسط الأرض وفضل بقاعها بعضا.

سطر3- على بعض وجعل أفضلها بقاعا تؤدي فيها النفل والفرض والصلاة وسلم على.

سطر4- محمد الشفيع في يوم العرض وسلم تسليما وبعد فهذا مسجد عظيم ومقام كريم أسس على.

سطر5 - التقوى بناؤه وارتسمت على السعادة والتوفيق أرجاؤه وأركانها أمر ببنائه الفقير إلى مولاه.

سطر6 - مملوك مولانا السلطان الكبير المعظم الشهير المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا خير الدين أيده.

سطر7 - الله ونصره وهو عبد الله سبحانه صفر غفر الله ذنبه وكان ابتداءه في شهر رجب الفرد من العام الفارط عن.

سطر 8 عام تاريخه والفراغ منه ثاني شهر ربيع الأول عام أحد وأربعين وتسعمائة جعل الله ذلك خالصا إلى وجهه الكريم⁽¹⁹⁾.

■ الكتابة التأسيسية للجامع الكبير بمدينة معسكر : (الصورة 2)
سجل تاريخ تأسيس الجامع الكبير بمدينة معسكر على لوحة تذكارية ثبتت ببيت الصلاة، ومقاساتها 65سم ارتفاعا و33سم عرضا، ونفذت حروفها بأسلوب الحفر البارز وسجل النص بالخط المغربي.

النص :

« الحمد لله حمدا لا نهاية لطوله، وصلى الله على سيدنا محمد نبينا عبده ورسوله أما بعد أمر ببناء هذا المسجد المبارك المحصون المعظم الأرفع القامع للعداء من جمع بين الشجاعة والنداء وطلع على الناس بدرا هدى صاحب لواء الحمد الأسماء ومالك أزمة المجد الاحما حاج الحرمين الشريفين أمير المؤمنين المجاهدين في سبيل رب العالمين صاحب الرتبة العالية وتحفة الملوك العثمانية مولانا الحاج عثمان باي ابن السيد ابراهيم خلد الله ملكه ملكا عاليا وهو على الأمة واليا ساميا وكان ذلك في شهر شعبان عام ستين ومائة وألف 1160 » وهو ما يوافق سنة 1747م.

■ الكتابة التأسيسية لجامع عين البيضاء بمدينة معسكر : (الصورة 3)
يقع جامع عين البيضاء وسط مدينة معسكر وهو على بعد 300 مترا من السور الشرقي لها، يعرف باسم جامع عين البيضاء بسبب

وجود عين كانت موجودة أسفل السور المذكور وكان لونها يميل إلى الأبيض، ولم تقتصر هذه التسمية على الجامع فقط، بل سمي الحي كله باسم هذه العين، ويشير أحد الكتاب في سنة 1841م إلى هذه المنطقة بكونها قسم من أقسام مدينة معسكر، التي يقول عنها أنها كانت تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية وهي : معسكر وسط المدينة وركوب إسماعيل وبابا علي وعين البيضاء وتعتبر الأقسام الأخيرة بمثابة ضواحي مدينة معسكر⁽²⁰⁾ كما يعرف الجامع بجامع الباي محمد الكبير نسبة إلى بانيه وعرف أيضا بجامع المبايعه نسبة إلى المبايعه الثانية لأهالي المنطقة للأمير عبد القادر فيه.

وسجل تاريخ بناء جامع العين البيضاء على كتابة أثرية من الجص تحيط بالمحراب ونفذ نصها بالخط المغربي.

النص :

بسم الله الرحمن الرحيم - صلى الله على سيدنا محمد وعاله وصحبه.
الحمد لله.

أما بعد أمر بتشيد هذا الجامع المبارك خليفة السلطان السيد محمد باي بن عثمان أيده الله أمين.

انتهى بحمد الله على يد المعلم - أحمد بن محمد بن حج احساين بن صارمشيق.

التلمساني رحمه الله في أول يوم ذي القعدة عام خمسة وتسعين ومائة وألف⁽²¹⁾.

وسنة 1195 هـ المذكورة في النص توافق سنة 1780م، علما أن أول ما قام به الفرنسيون أثناء الاحتلال هو تحويل هذا المسجد إلى مخزن للعتاد العسكري، وبقي كذلك حتى سنة 1905م وفي رواية أعيد فتحه للمسلمين سنة 1910م.

ثانيا : استخدام خط النسخ في الكتابات التأسيسية.

1. تعريف خط النسخ :

يعتبر خط النسخ من الخطوط العربية الأصلية المنحدرة من الخط الآرامي مرورا بالخط النبطي، واستقر بمكة والمدينة، حيث عرف قبل عصر النبوة باسم " الخط الحجازي"⁽²²⁾ وسمي بالنسخ، لأن الكتاب كانوا يستعملونه في نسخ المصاحف والكتب والمؤلفات⁽²³⁾.

ويذهب بعض العلماء إلى أن عليا بن أبي طالب- كرم الله وجهه- هو أول من استعمل خط النسخ ونقله الحسن البصري عن أهل القرن الأول الهجري وهناك من العلماء من يقول أن الوزير ابن مقله وأخاه أبا عبد الله هما أول من نقل هذا الخط من خط الكوفة وأطلقا عليه اسم " البديع"، ثم جود وحسن في عصر دولة المماليك في مصر غير أن المحقق في النقوش التي تم العثور عليها من القرن الأول الهجري ورسائل النبي- صلى الله عليه وسلم- يلاحظ أصالة هذا

الخط، وأنه لم ينفصل عن الخط الكوفي بل إن الخطين الكوفي والنسخي تلازما مما يدعو إلى الاعتقاد بأنهما من أصل واحد ومن يوازن بين النماذج التي وصلت إلينا من أوراق البردي ومخطوطات القرن الثاني الهجري المكتوبة بالنسخ القديم، وبين الصورة التي عرفها الخط الذي كتبه ابن مقله وأخوه أبو عبد الله ومن جاء بعدهما أمثال ابن البواب يلاحظ ذلك التطور الذي عرفه خط النسخ خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين⁽²⁴⁾ ويؤيد هذا القول أيضا، أن في المكتبة الخديوية بمصر نسخة من رسالة الإمام الشافعي كتبت سنة 265هـ أي قبل وفاة ابن مقله بثلاث وستين سنة وخطها إلى النسخي أقرب منه إلى الكوفي⁽²⁵⁾.

ولقد اتبع الخطاطون في مجال تحسين خط النسخ أسلوبا مغايرا لأسلوبهم المتبع في تجميل الخط الكوفي ففي الخط الأخير كانوا يعتمدون أساسا على ذوقهم الفني الخاص دون وضع أي أسس أو قواعد ولكنهم اتبعوا في خط النسخ معايير وقواعد معينة يضبط بها الخط وذلك بتحديد نسب هندسية وقياسية لأشكال الحروف، وهو نظام وضوابط وضعت على يد ابن مقله في نهاية القرن الثالث الهجري فابن مقله هو أول من جعل للخط معايير يضبط بها، إذ نسب كل الحروف إلى حرف الألف التي جعلها مقياسا أساسيا بحيث حدد طولها بعدد من النقط، أي أنه ناسب بين طولها وعرضها وعلى هذا الأساس وضع ابن مقله نظاما يضبط به أصول الخط⁽²⁶⁾ والنسبة تخضع لعرض ذلك القلم القصب الذي يكتب به بحيث يصبح طول

الألف أربع نقط، ويجعلها بعضهم خمسة وعلى هذا المنوال تنقط سائر الحروف⁽²⁷⁾.

ومن المعروف أن أعلى مستوى عرفه الخط النسخي تم على يدي علي بن هلال المعروف بابن البوّاب المتوفى عام 413 هـ / 1022م، فهو الذي جمع بين النسبة والجمال الفني⁽²⁸⁾ ثم تعرض خط النسخ سنة 545 هـ / 1150م لتحسينات وتجويدات بالغة إلى حد أنه عرف "بالنسخ الأتابكي"، وجرى على نسبة ثابتة فاستعمل في كتابة المصاحف، وحلّ محل الخط الكوفي، لما يكمن فيه من مظهر جمالي وسحر اقتتن به الكتاب والقراء، وهكذا انتشر خط النسخ في شرق العالم الإسلامي وغربه، وأصبح الخط المفضل في الاستعمال، ونسخت به المصاحف الشريفة، ولم ينته القرن السادس الهجري حتى تقلّصت أهمية الخطوط الكوفية سواء في كتابة المصاحف أو في النقوش المسجلة على جدران المباني⁽²⁹⁾.

وشهد خط النسخ ازدهارا وتطورا في القرن السابع الهجري (13م) على يد ياقوت المستعصمي الذي لقب بقبلة الكتاب للدور الهام الذي لعبه في مجال تحسين الخط وتطويره، وتوفي ببغداد عام 698 هـ 1298م⁽³⁰⁾ وهو الخطاط الذي اتخذ العثمانيون إماما لهم في مجال الخط.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الخط النسخي في العالم الإسلامي بوجه خاص وإقبال القوم على استخدامه مكان الخط الكوفي بالإضافة إلى جمال صورته أنه لين طيّع يساعد الكاتب على

السير بقلمه بسرعة، وذلك لصغر حروفه، وتلاحق مداتها دون إهمال لتتاسق الحروف⁽³¹⁾ ومنه تفرعت أنواع كثيرة من الخطوط نذكر منها الطومار، والثلاث، والتعليق وغيرهما⁽³²⁾ ولكن من الملاحظ انتشاره في المغرب الإسلامي كان أقل بكثير منه في المشرق.

2. نماذج من استعمالات خط النسخ في الكتابات التأسيسية :
ووجدنا بعض الأمثلة لخط النسخ في المساجد التي تعود إلى العهد العثماني وتتمثل فيما يلي :

3. الكتابة التأسيسية لجامع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة :
(الصورة 4)

يقع جامع سيدي الكتاني في نهاية شارع كرامان بساحة سوق العصر، وثبتت الكتابة فوق باب صار موصدا اليوم⁽³³⁾، ونقشت على لوحة من الرخام ونفذت حروفها بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرخام واستعمل خط النسخ في تسجيل محتوى النص الذي وزع على سبعة سطور.

النص :

سطر 1 - بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد.

سطر 2 - مطالع الخير جاءت - من أفق شاو السعادة.

سطر 3 - وأشرق الجو منها - بمسجد للافاده.

سطر 4 - بناه باي الزمان - هو صالح ذو المجاده.

سطر 5 - تراه في الخير يسعى - ذخرا ليوم الاعاده.

سطر 6 - حباه ربي بيتا - في جنة وزياده.

سطر 7 - ان رمت تاريخه قل - سنة 1190 - ذا مسجد للعباده⁽³⁴⁾.

وسنة 1190 هـ المذكورة ضمن نص الكتابة توافقها سنة 1776م.

ثالثا : استخدام خط الثلث في الكتابات التأسيسية.

1. تعريف خط الثلث :

استخدم خط الثلث في كتابة الكثير مما وصلنا من النقوش التي تعود إلى العصر العثماني، ولقد اختلف الكتاب في أصل تسمية ما في معناه من الأقلام المنسوبة إلى الكسور كالثلاثين والنصف، وقد ذهبوا في ذلك إلى مذهبين :

المذهب الأول :

ما نقل عن الوزير أبي علي بن مقله أن الأصل في ذلك هو أن للخط الكوفي أصلين من أربع عشرة طريقة همالها كالحاشيتين.

- قلم الطومار : وهو عبارة عن قلم مبسوط كله لا يوجد فيه شيء مستدير واستعمل بكثرة في كتابة مصاحف المدينة القديمة.

- قلم غبار الحلية : وهو قلم مستدير كله ليس فيه شيء مستقيم والأقلام كلها تأخذ من المستقيمة والمستديرة نسبة مختلفة فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلث، يطلق عليه اسم "قلم الثلث"، وإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلثان سمي "قلم الثلاثين"⁽³⁵⁾.

المذهب الثاني :

هناك من يرى أن تاريخه يعود إلى أواخر خلافة بني أمية وبدايات خلافة بني العباس، على يد قطبة المحرر، وقيل أن جودة الخط انتهت إلى الشام حيث طوّر إبراهيم الشجري المتوفى عام 200هـ خط الطومار، فخفف منه قلما سماء القلم الثلثين، ثم اخترع منه قلما آخر سماه "قلم الثلث" وترجع هذه التسمية إلى مساحته، إذ من المعروف أن قلم الطومار يعتبر أجل الأقلام مساحة إذ يبلغ عرضه أربع وعشرون شعرة من شعر البرزون، وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه أي ثمان شعرات⁽³⁶⁾.

وهكذا يعتبر خط الثلث خطا متطورا عن خط النسخ، وقد سمي كذلك لأن حجمه يساوي ثلث حجم النسخ الكبير الذي كان يكتب به على الطومار، والطومار هو الدرج أو الملف المتخذ من البردي أو الورق، وكان يتكون من عشرين جزءاً تتلاصق أفقياً ثم يلف على شكل أسطوانة، وكان يستعمل في الكتابة عليه الخط النسخي الكبير، الذي عرف بخط الطومار والذي تولد منه خط الثلث⁽³⁷⁾.

أما قلم النصف فهو بمقدار نصف الطومار أي اثنتي عشرة شعرة، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه أي ثمان عشرة شعرة.

وقلم الثلث قسمان هما : ثقل الثلث الذي حجمه يساوي ثمان شعرات وخفيف الثلث وهو أدق منه قليلا، والفرق بينهما أن

الثقيل تكون منتصباته ومبسوطاته قدر سبع نقط على ما في قلمه،
أما الخفيف فيكون مقدارها خمس نقط⁽³⁸⁾.

وتتميز حروف خط الثلث بعدة مميزات منها : الرصانة،
والاسترسال والتنوع في ضخامتها، ونلاحظ أن الدال والراء والسين
والعين والقاف والنون في هذا الخط تكتب بنسب أكبر وأطول منها
في خط النسخ وشكلها يكون مقوسا ومائلا في استرسال جميل،
بحيث يتعدى طرف هذه الحروف مستوى السطر، ثم تنتهي باستدارة
لتعود إليه بتحريف رشيق وجميل، في نفس الوقت نلاحظ أن حرف
الدال مثلا في خط النسخ يكتب بحيث يكون طرفه أفقيا على
السطر، أو يتعداه بقليل وهذا يعني أن نسب حروف خط الثلث أكبر
من نسب خط النسخ، وأكثر سمكا منها ومن مميزات خط الثلث
أيضا قابلية حروفه للتركيب وتبدأ طوابع حروفه بسنة ينتهي طرفها
على أسفل مثل الألف واللام والدال والزاي المفردة وطوابع كل من
الطاء والظاء، وهذا عكس خط النسخ⁽³⁹⁾.

وقد رسم خط الثلث على صورتين : صورة المحقق وصورة
المطلق، أما صورة المحقق فهو خط الثلث الذي تحققت حروفه
وتقيدت بالنسبة الفاضلة وتكون مفرودة على السطر، مع عدم
تزامم الحروف فاستتبع ذلك رسم بعض الحروف بالصورة المرسله
مثل الراء والواو وما شابههما، أما صورة المطلق فيقصد بها خط
الثلث المطلق الذي لم ترسم حروفه محققة وكتبت دون التقيد
ببعض النسب والقواعد وهكذا أصبحت لخط الثلث صفتان هما

المحقق والمطلق، ولا يمكن اعتبارهما نوعين له بل صفات له وبالإضافة إليهما هناك التراكيب، الجلي والتشابك والزخري والهندسي والمتعاكس وهي صفات أيضا لخط الثلث لا أنواع له، أما أنواع الثلث فتتمثل في الثلث الثقيل والنصف، والثلثان⁽⁴⁰⁾.

وشهد خط الثلث تحسينا كبيرا على أيدي الخطاطين والفنانين فبلغ غاية الجودة على أيديهم، مما أتاح له الفرصة بأن يحل محل الخط الكوفي في تزيين جدران المساجد وساعدت سلاسته وليونته على تركيب كلماته فوق بعضها، وتداخلها دون أن تخرج الحروف عن مقاييسها الجمالية التي وضعت لها واهتمت المدرسة التركية بتجويده وتهذيبه حتى بلغ في العصر العثماني أقصى درجات الجمال فاستعمل في تزيين المساجد، والأسبلة والتكايا، وأصبح الخطاط الذي لا يتقن هذا النوع من الخط لا يعتبر من أهل هذا الفن⁽⁴¹⁾.

وملاحظ أن خط الثلث استعمل في العديد من المرات بالمباني الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني.

2. نماذج من استعمال خط الثلث في الكتابات التأسيسية

■ الكتابة التأسيسية لجامع سوق الغزل بمدينة قسنطينة :
(الصورة 5)

إن الكتابة التي تخلد ذكرى بناء جامع سوق الغزل موجودة بقصر أحمد باي بقسنطينة، وهي منقوشة على لوحة رخامية يبلغ طولها 1.25 م وعرضها 0.62م وتحتوي على سبعة سطور، الستة

الأخيرة منها على وزن البحر الكامل ومقسمة على جزئين مندرجة في أطر، والسطور مفصولة بواسطة أشرطة تماثل الأعمدة والسطور مزينة بزخرفة نباتية منظمة.

النص :

- سطر 1 - بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد.
- سطر 2 - في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال.
- سطر 3 - غرف المحامد أم قصور تعبد أم جنة الرضوان للمتهدج - أم جامع جمع المحاسن فانتشت في جيد منشيه اعز مقلد.
- سطر 4 - بيت يقام بها عماد الدين في ظل امتثال للاله الأوحد - كالشمس ألا إن تلك الي الافول وهذه في البرذات تخلص.
- سطر 5 - وسعت بما وسعت يدا حسين ضاحكة بما للراكعين السجد - يرجو بها من يسبل الستر المذال على العصاة إذا أتوه في غد.
- سطر 6 - يا خير من يرجى لكل مومل نوله في الدارين أسعد مقصد - ولئن تسل تاريخه فاتي به باي الزمان حسين بن محمد سنه 1143.⁽⁴²⁾

والجملة الحسابية المقدمة في هذا النص تعطينا التاريخ المحدد لبناء هذا الجامع حيث استعملت الطريقة المغربية في ذلك،

والنتيجة هي 1143هـ، بالإضافة إلى كتابة سنة البناء بالأرقام، إذن شيد المبنى في 1143 هـ الموافق لـ 1730 - 1731م.

■ الكتابة التأسيسية لجامع سيدي لخضر بمدينة قسنطينة :
(الصورة 6)

تعلو المدخل الأيمن لبית الصلاة، ونقشت على لوحة من الرخام، مقاس كل جهة من جهاتها 56سم وبها أربعة أسطر مقسمة إلى جزئين داخل أطر ذات شكل سداسي تتكون من جوانبه معينات ومثلثات وضعت وسطها نقط كبرى، وفي المعين الأوسط عوضت النقطة بالتاريخ المرقم.

النص :

سطر 1 - تم بناؤنا البديع الباهي - عن اذن بانيه لوجه الله.

سطر 2 - به حسن بك بن حسين امر - فصار مسجدا لنا كما ترى.
1156

سطر 3 - جعل الله سعيه سعيا مشكورا - وجزائه جزاءا موفورا.

سطر 4 - سنة ستة وخمسين ومائة وألف - من هجرة من له العز
والشرف.

■ الكتابة التأسيسية لجامع الباي بمدينة عنابة : (الصورة 7)

يقع جامع الباي بعنابة في وسط الساحة المعروفة اليوم باسم ساحة 19 أوت 1956 وهي تقع بدورها في قلب المدينة ، وأطلق على هذا الجامع اسم جامع الباي نسبة إلى الحاكم المؤسس له وهو صالح باي. لا اختلاف في تاريخ بناء هذا الجامع والكتابة المثبتة أعلى المدخل الذي بالواجهة المطلة على شارع القاضي ، تعطي وضوح تاريخ بنائه ، وهي لوحة من الرخام وتحتوي على قصيدة قسمت على خمسة أسطر كتبت حروفها بخط الثلث ونفذت بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص.

النص :

سطر 1 - لعمرك بيت الله للسر جامع - مشيد أركان به النور ساطع.
سطر 2 - بدت دونه زهر الكواكب رفعه - به بونة للسعد منها مطالع.
سطر 3 - به جاد تاج الدين والمجد صالح - إلى درج العليا راق وطالع.
سطر 4 - أمير البرايا زاد ظفرا ونصرا - مؤيد دين الحق للشرع تابع.
سطر 5 - فمذ أسس البيت الرفيع على الهدى - أرخه للخير برك جامع سنة 1206.

وقد حدد تاريخ التأسيس بإحصاء الحروف التي تتركب منها جملة "للخير برك جامع" وهذا حسب الطريقة المشرقية في حساب الجمل ، والمجموع هو 1206 الموافق لسنة 1792⁽⁴³⁾.

■ الكتابة التأسيسية الثانية لجامع صفر بمدينة الجزائر : (الصورة 8)
قام الداي حسين باشا بإعادة بناء هذا الجامع وذلك عام
1242هـ / 1826 - 1827م حسب ما تذكره كتابة أثرية أخرى مثبتة
بجانب الكتابة الأولى والمذكورة سابقا.

نقشت هذه الكتابة على لوحة رخامية ارتفاعها 1م وعرضها
1.10 م، وثبتت أعلى المدخل الرئيسي للجامع، ونفذت بخط الثلث
ونفذت بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص⁽⁴⁴⁾.

النص :

سطر1

- بسم الله وأول الذكر الحمد لله.
- ونصلي على محمد امتثالا الامر بالصلاة.

سطر2

- وبعد فان مما يسره الله وأولاه
- تجديد هذا المسجد للذكر والصلاة.

سطر3

- وكان ذلك من خيرات اسعد الولاة.
- المخلص في مصالح العباد لوجه الله.

سطر4

- فكان التاريخ لما جدده وعلاه.

- موسوما باسمه ووصفه الذي اعلاه.

سطر5

- وهو جدد الرسوم بحمد اله.

- حسين باشا المجاهد في سبيل الله سنة 1242⁽⁴⁵⁾.

وتشير هذه الكتابة إلى أن الداى حسين قام بإعادة بنائه سنة 1827م⁽⁴⁶⁾ لأنه من جملة ما ذكر في النص عبارة " جدد الرسوم " وتجديد الرسوم هو إعادة البناء⁽⁴⁷⁾.

الخاتمة :

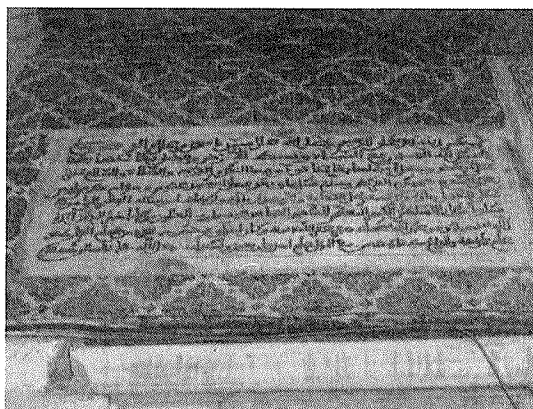
وبعد أن استعرضنا الخطوط الثلاثة التي غلب استعمالها في تخليد ذكرى بناء أو تجديد مساجد الجزائر خلال العهد العثماني، وعرض مجموعة من تلك الكتابات، يمكننا أن نتعرف على تلك الصفات التي كانت تميز الكتابات التأسيسية بمختلف خطوطها والدرجة الفنية التي بلغت تلك الكتابات من إتقان في الخط وجودة في رسم الحروف وإدخال العناصر الزخرفية عليها، وخاصة منها النباتية، واستعمال العديد من الطرق في تأريخ المبنى وحسن استغلال الجمل الحسابية في سبيل ذلك، هذا زيادة عن تلك الصيغ والعبارات الدينية المتنوعة من كتابة إلى أخرى والتي هي جديرة بأن يخصص لها مجال مستقل في البحث.

الهوامش :

- (1) شريفي محمد بن سعيد، خطوط المصاحف- عند المشاركة والمغاربة- من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1395هـ / 1975م، ص245.
- (2) هوداس (و)، " محاولة في الخط العربي"، تعريب : عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث، 1966، ص 179 180.
- (3) نفسه، ص 182.
- (4) هوداس (و)، المرجع السابق، ص187، 189.
- (5) فوزي سالم عفيفي، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والإجتماعي الطبعة الأولى، وكالة المطبوعات، الكويت 1980 ص 166.
- (6) هوداس (و)، المرجع السابق، ص 192.
- (7) شريفي محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص 245.
- (8) هوداس (و)، المرجع السابق، ص 194.
- (9) نفسه، ص 195، 202.
- (10) نفسه، ص 203، 205.
- (11) نفسه، ص 207، 209.
- (12) نفسه، ص 209، 211.
- (13) شريفي محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص 256.
- (14) هوداس (و)، المرجع السابق، ص 213.
- (15) نور الدين عبد القادر، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص160.
- (16) Devoulx (A) ; Les Edifices religieux de l'ancien Alger, p.240, 241.

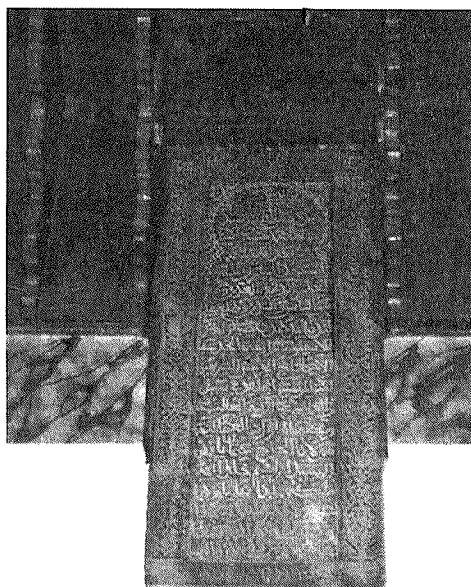
- (17) رشيد بورويبة، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ترجمة : إبراهيم شيوخ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399 هـ 1979م، ص112.
- (18) نفسه، ص111.
- (19) Dokali (R) ; Les mosquées de la periode turque à Alger, SNED, Alger, 1974, p.34, 35
- (20) L'Algerie, promenades pittoresques, Louis Janet, Libraire Editeur, Paris, 1840p.148
- (21) Leclerc (Ch) ;« Les inscriptions de Mascara » IN.Revue Africaine, 1859-1860 pp.42-46
- (22) إبراهيم ضمرة، الخط العربي-جذوره وتطوره، الطبعة الثالثة، مكتبة المنار، الأردن، 1988، ص 96.
- (23) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ الخط العربي وآدابه، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية 1939، ص 95.
- (24) إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 96، 97.
- (25) أحمد رضا، رسالة الخط، مطبعة العرفان، صيدا، سوريا، 1332هـ / 1914م، ص 17.
- (26) حسن الباشا، الخط الفن العربي الأصل، ضمن حلقة بحث : الخط العربي، ص 28.
- (27) إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 97.
- (28) حسن الباشا، المرجع السابق، ص 29.
- (29) إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 97.
- (30) مايسة محمود داود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أواخر القرن الثاني عشر للهجرة (7 - 18م)، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1991، ص 58.
- (31) إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 98.
- (32) حسن الباشا، المرجع السابق، ص 29.

- (33) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 179.
- (34) نفسه، ص 179.
- (35) سهيل أنور، الخطاط البغدادي علي بن هلال، ترجمة محمد بهجت الأثري، وعزيز سامي، تلى الرسالة تحقيقات وتعليقات تاريخية وأدبية من وضع الأول، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1377هـ - 1958م ضمن التحقيقات، ص 49.
- (36) إبراهيم ضمرة، المرجع السابق، ص 102.
- (37) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987، ص. 175.
- (38) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، المرجع السابق، ص 94.
- (39) مایسة محمود داود، المرجع السابق، ص 59.
- (40) فوزي سالم عفيفي، المرجع السابق، ص 119.
- (41) مأمون يس عبد الله، الكتابة العربية، تاريخها وأنواعها، 30، 31.
- (42) رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 155. إلا أن الأستاذ بورويبة لم يسجل السنة المتعلقة بالنص.
- (43) Papier (A) ; « La mosquée de Bone », IN. Revue Africaine, 1889- 1890.
- (44) رشيد بورويبة، المرجع السابق...، ص 113.
- (45) Dokali (R) ; Op.Cit, pp.35.
- (46) Klein(H) ; Op.Cit, p.155.
- (47) نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص 160.



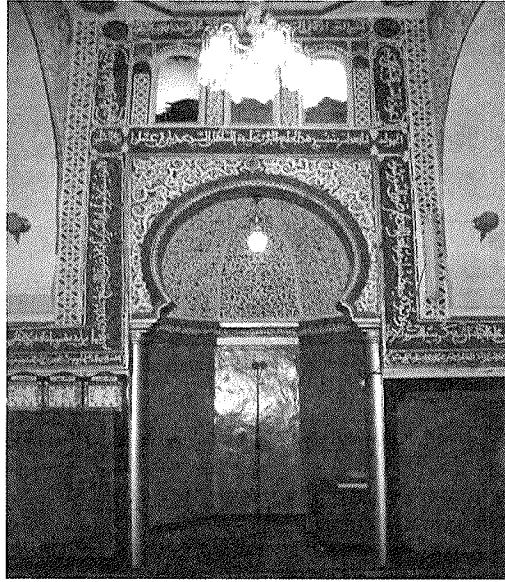
الصورة (1) : الكتابة التأسيسية الأولى لجامع صفر بمدينة الجزائر

- خط مغربي-



الصورة (2) : الكتابة التأسيسية للجامع الكبير بمدينة معسكر

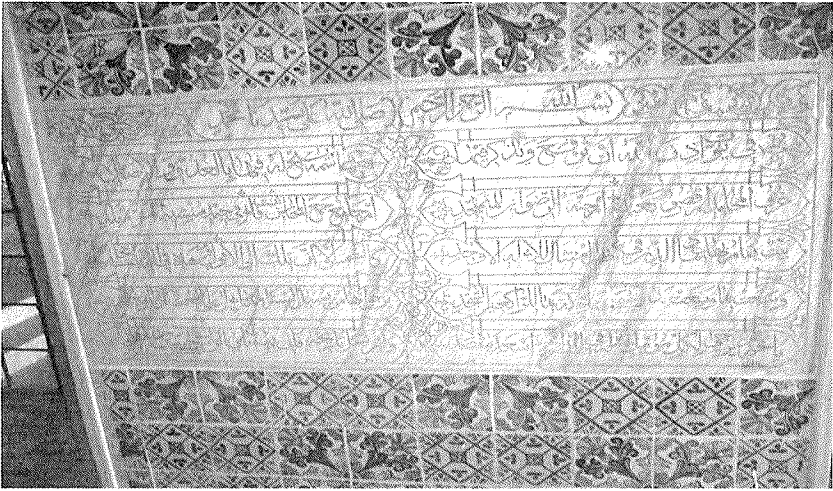
- خط مغربي-



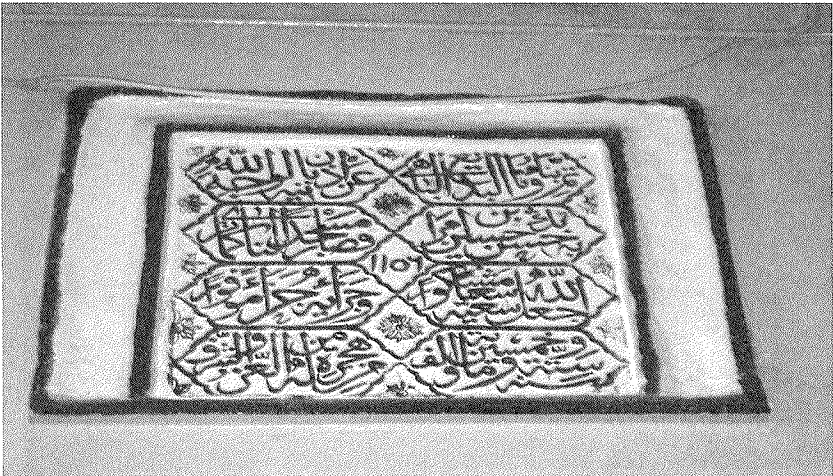
الصورة (3) : الكتابة التأسيسية لجامع عين البيضاء بمدينة
معسكر - خط مغربي-



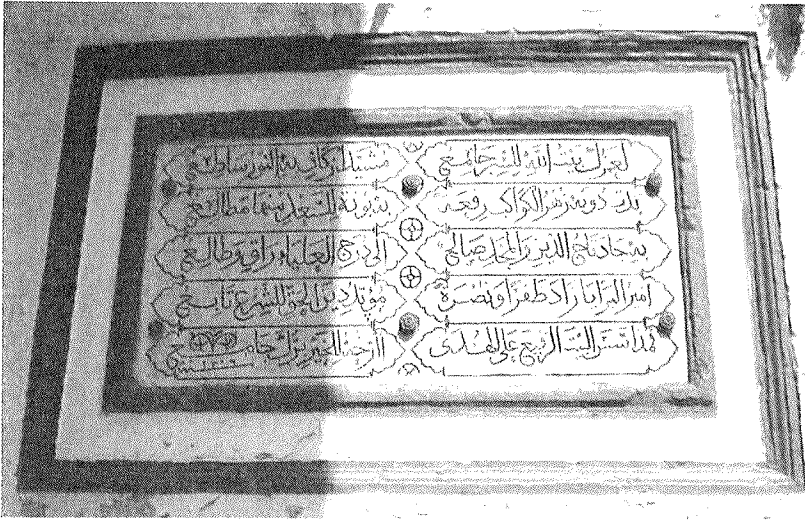
الصورة (4) : الكتابة التأسيسية لجامع سيدي الكتاني بمدينة
قسنطينة - خط النسخ-



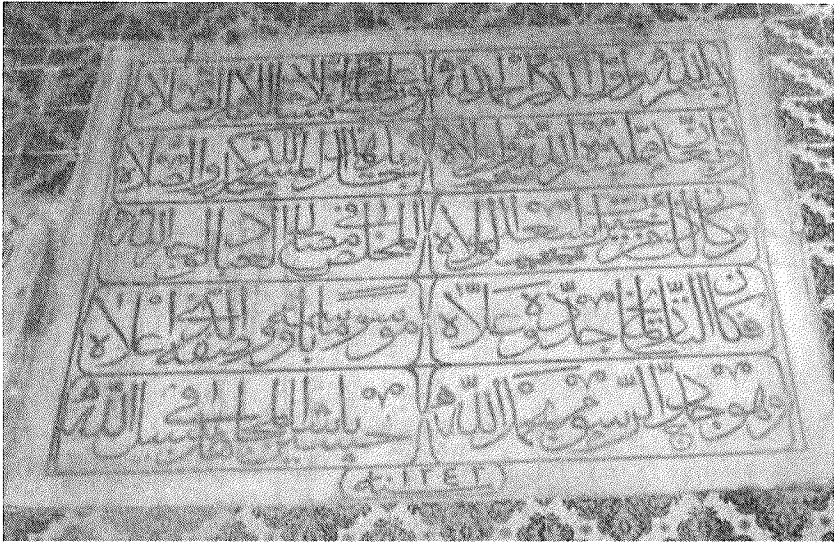
الصورة (5) : الكتابة التأسيسية لجامع سوق الغزل بمدينة قسنطينة
- خط الثلث-



الصورة (6) : الكتابة التأسيسية لجامع سيدي لخضر بمدينة
قسنطينة - خط الثلث-



الصورة (7) : الكتابة التأسيسية لجامع الباي بمدينة عنابة - خط الثلث-



الصورة (8) : الكتابة التأسيسية الثانية لجامع صفر بمدينة الجزائر - خط الثلث-